لاحد قال قتادة يخسف به فهو يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ
قعرها الى يوم القيمة قال واصبح بنوا اسرايل يتناجون فيما بينهم ان
موسي انما دعا على قارون ليستبيد داره وكنوزه وامواله فدعى الله تعالى
حتى خسف بداره وباموالة فاياكم يا امة هذا النبي ان تزدروا ما اتاكم من الرحمة
فتهلكوا وان كنتم اقرب الناس نسبا فان قارون كان من اقارب موسى عليه السلام
فان الانبيا كما انهم لا يوجدون الهدي في قلوب العدا فكذلك لا يمنعونهم
من الردي ولا يشفعون الا لمن ارتضي فما اي فتسبب انه كان له اي
لقارون واكد النفي لما استقر في الاذهان ان الاكابر منصورون بزيادة
الجار في قوله تعالى من فئة اي اعوان واصل الفية الجماعة من الطير
كانها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعتها الي المكان الذي ذهبت
منه ينصرونه من دون الله اي غيره بان يمنعوا عنه الهلاك وما كان
من المنتصرين اي الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر
اذا امنعه منه فامتنع ولما خسف واستبصر الجهال الذين هم كالبهايم
لا يرون الا المحسوسات ذكر حالهم بقوله واصبح اي وصار
ولكنه ذكره لمقابلة الامس الذين تمنوا اي ارادوا ارادة عظيمة
بغاية الشغف ان يكونوا مكانه اي يكون حاله ومنزله في الدنيا لهم
بالامس اي الزمان الماضي القريب وان لم يكن يلي يومهم الذي
هم فيه فالامس قد يذكر ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت
المستقرب على طريق الاستعارة يقولون ويكان الله يبسط اي يوسع
الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيته وحكمته ويقدر اي يضيق
على من يشا لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء
منه وفتنة ووي اسم فعل بمعنى اعجب اي انا والكاف بمعنى اللام
وهذه الكلمة والتي بعدها متصلة باجماع المصاحف واختلف
القرا في الوقف فالكسائي وقف على اليا قبل الكاف ووقف ابو عمرو على
الكاف ووقف الباقون على النون وعلى الها حمزة يسهل الهمزة في الوقف
على اصله واما الوصل فلا خلاف فيه بينهم ولما لاح لهم من واقعته
ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه ما دل انهم اعتقدوا ايضا ان الله قادر
على ما يريد من غير الرزق كما هو قادر على الرزق من فوقهم لولا ان من الله
اي تفضل الملك الاعظم علينا بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من
الكنوز على مثل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله كقارون والمكذبون لرسله وبما وعدوا لهم
من ثواب الاخرة وقوله تعالى تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم
لشانها اي تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وتلك مبتدا

والدار

والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا بعمل
المعاصي فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما
وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق
الوعيد بالركون وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون
شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل
انه قراها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى
عنها انه كان يرددها حتى قبض قال الزمخشري ومن الطماع من
يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون
علا في الارض وبقوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض فيقول من لم
يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله تعالى
والعاقبة اي المحمودة للمتقين اي عقاب الله تعالى بعمل طاعته كما
تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله تعالى عنهم ولما بين تعالى ان الدار
الاخرة ليست لمن يريد علوا في الارض ولا فسادا بل هي للمتقين
بين بعد ذلك ما يحصل فقال تعالى من جا بالحسنة فله خير منها من عشرة
اضعاف الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى
ومن جا بالسيئة وهي ما نهى الله تعالى عنه ومنه اخافة المومنين
فلا يجزى اي منه اي جاز واظهر ما في هذا الفعل من الضمير العايد
على من بقوله تعالى الذين عملوا السيات تصويرا لحالهم تقبيحا لهم وتنفيرا
من عملها الا جزا ما كانوا يعملون اي مثله وهذا من فضل الله العظيم
وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا مثلها ويجزي الحسنة باكثر
منها كما مر فان قيل قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفي في ذكر الاساءة بمرة واحدة
وفي هذه الاية كرر الاساءة واكتفي في ذكر الاحسان بمرة واحدة
فما السبب في ذلك اجيب بان هذا المقام مقام ترغيب في الدار
الاخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوة الى
الاخرة واما الاية الاخرى فهي شرح حالهم فكان المبالغة في ذكر
محاسنهم اولى فان قيل كيف انه تعالى لا يجزي السيئة الا مثلها
مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد اجيب
بانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك فعومل بمقتضي عزمه
ان الذي فرض اي انزل عليك القران قاله اكثر المفسرين وقال عطا
اوجب عليك العمل بالقران وقال ابو علي فرض عليك احكامه وفرايضه
لرادك الى معاد اي معاد ليس لغيرك من البشر وهو المقام المحمود
الذي وعدك ان يبعثك فيه وتنكير المعاد لذلك وروي سعيد

Copyright © King Saud University